

بطلٌ تحت الماء

٤

. مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل

السلسلة التاريخية



بطلٌ تحت المَاء

« مكتبة الطفل »
دائرة ثقافة الأطفال
وزارة الثقافة والاعلام
الجمهورية العراقية

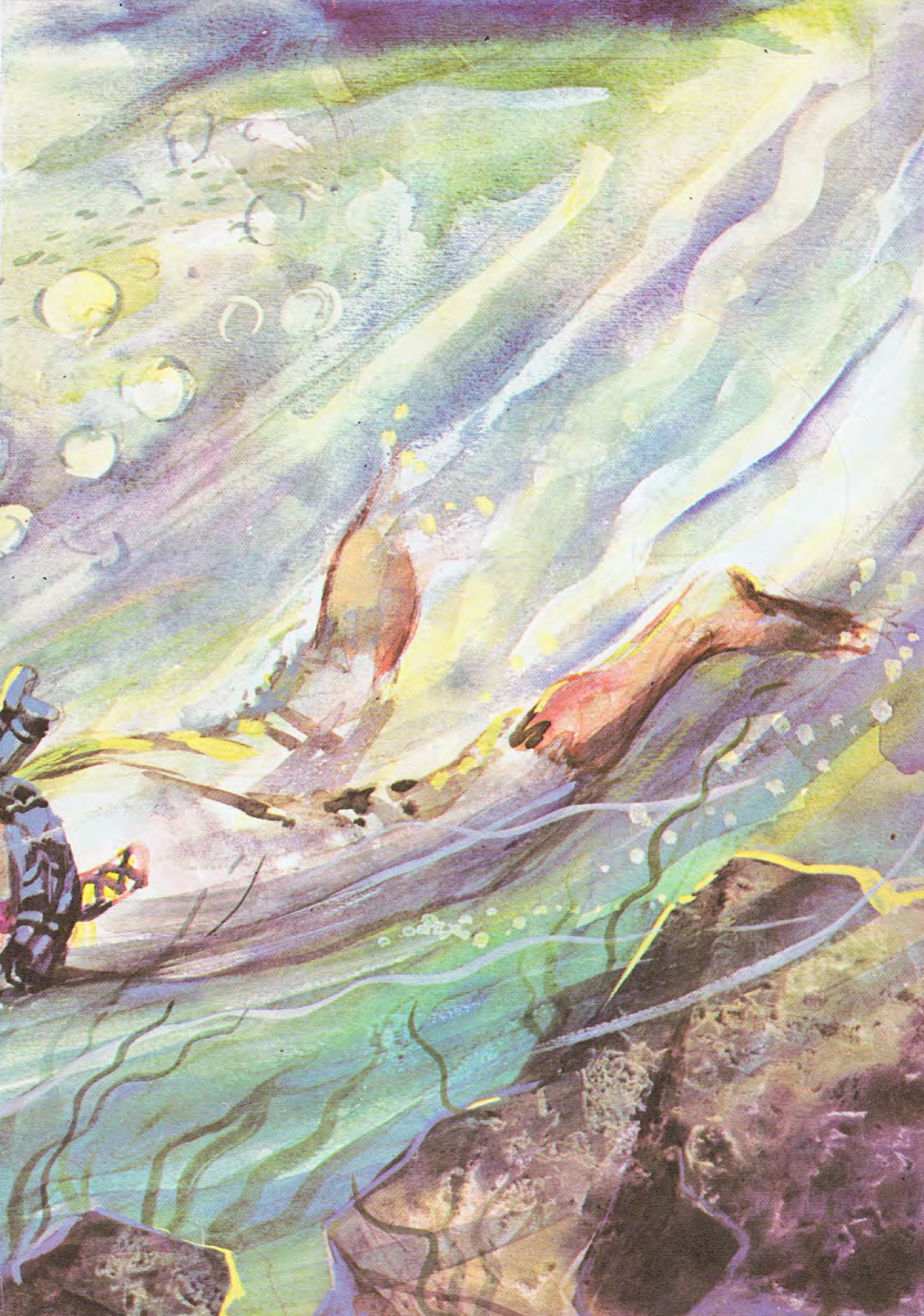
السلسلة التاريخية

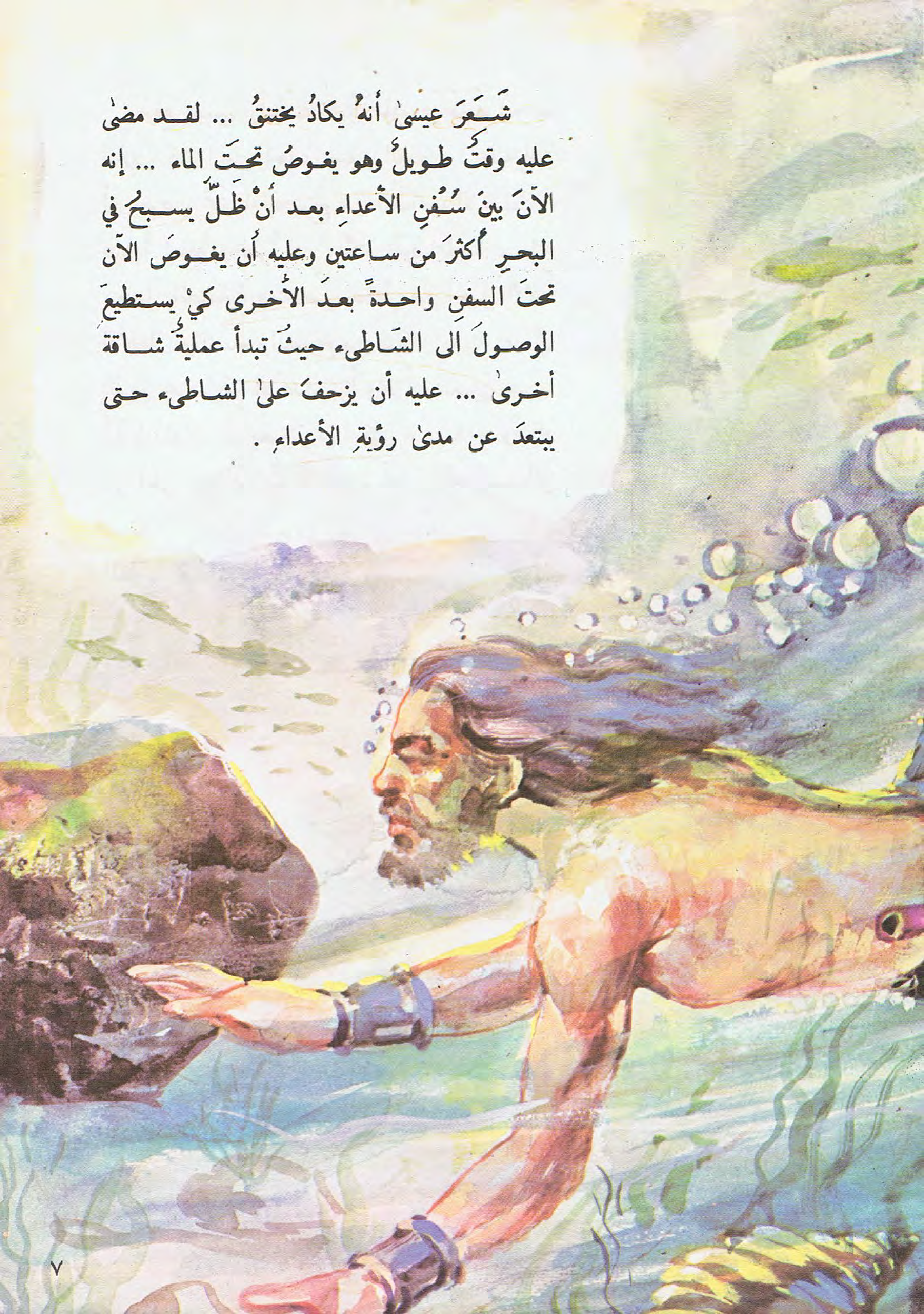
٤

بطلٌ تحت الماء

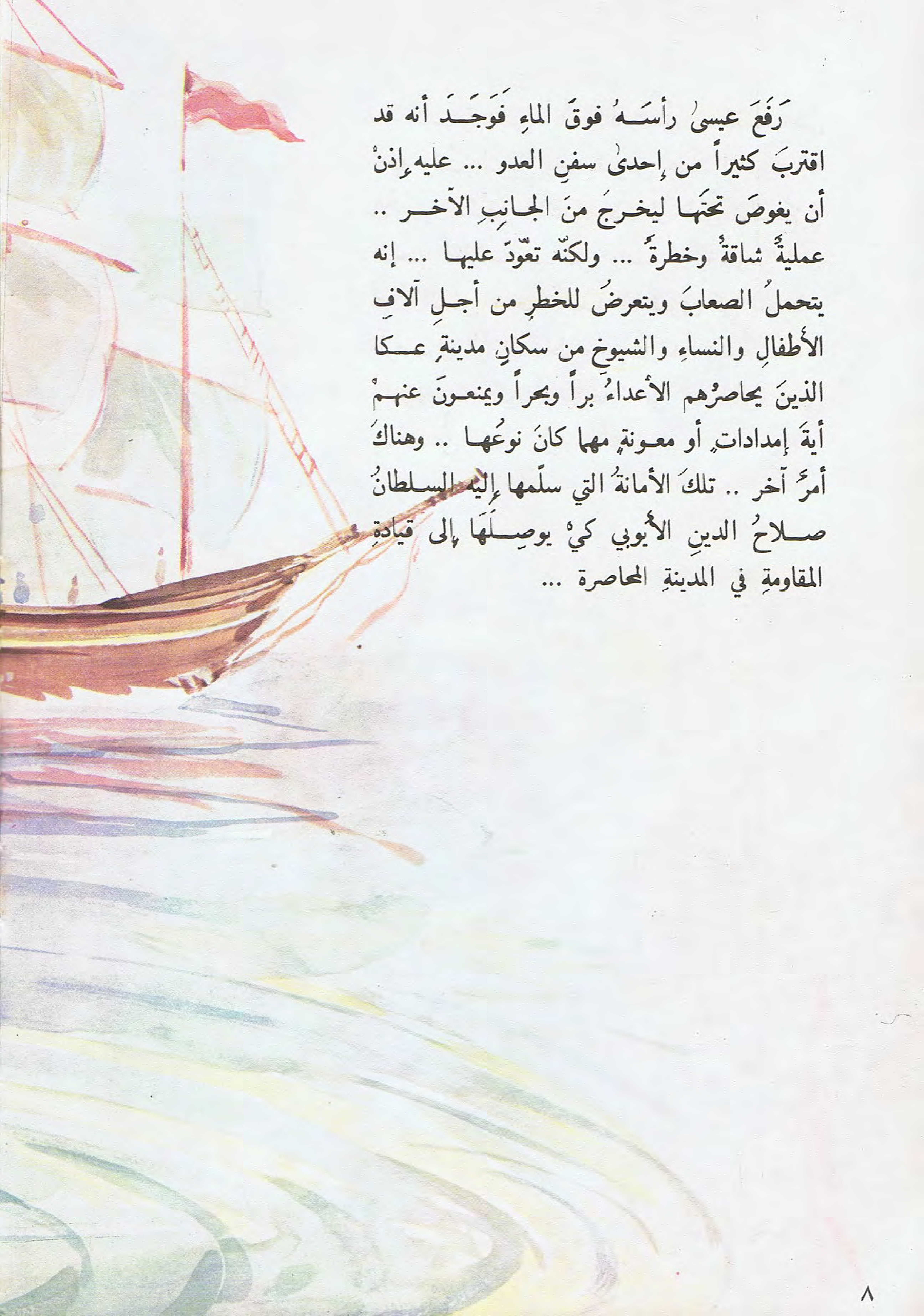
تأليف : عبدالخالق ثروت
رسوم : وليد عبدالله
تصميم : خليل الواسطي



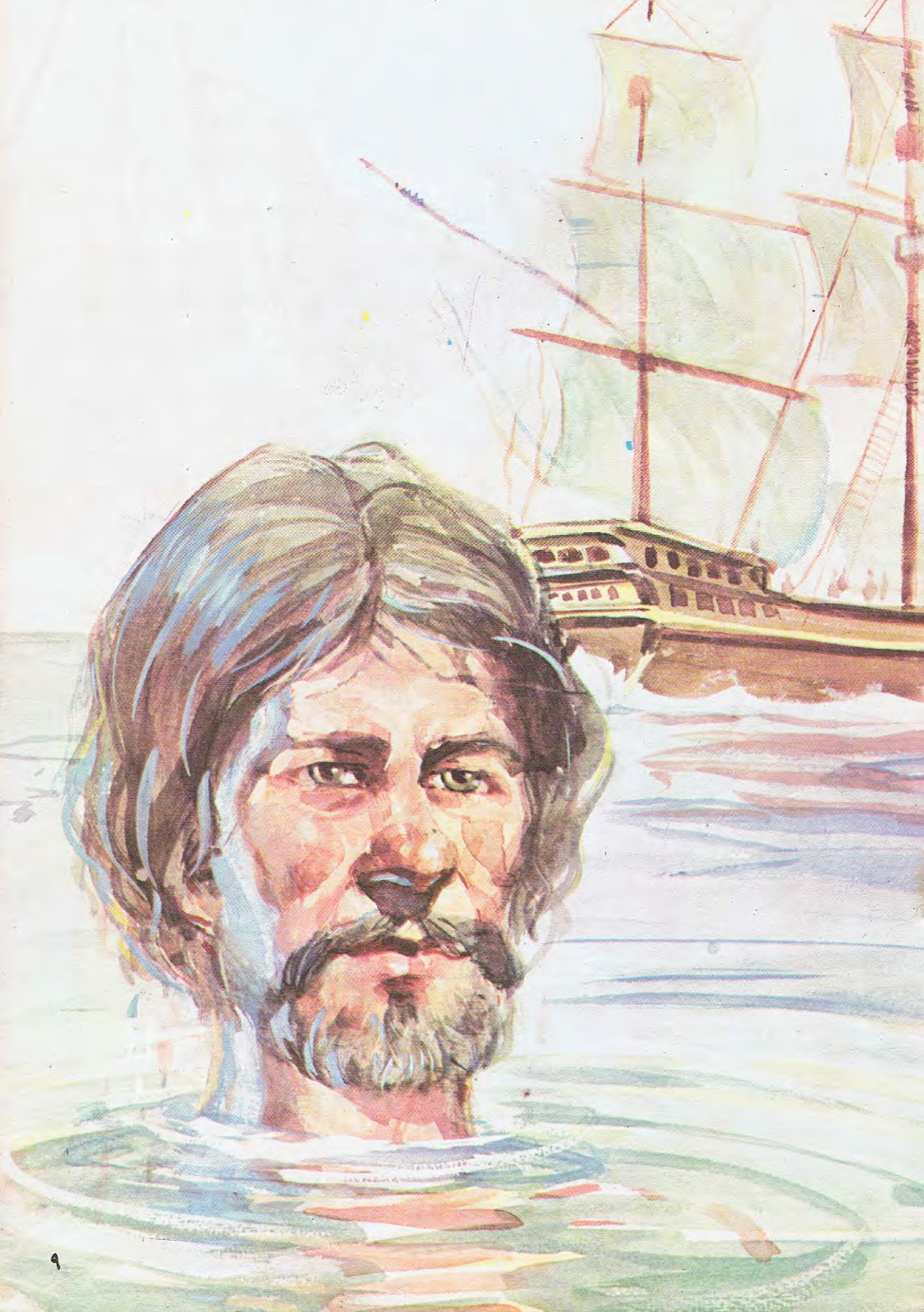




شَعَرَ عيسىٰ أنهُ يكادُ يختنقُ ... لقد مضىٰ عليه وقتٌ طويلٌ وهو يغوصُ تحتَ الماء ... إنه الآنَ بينَ سُفُنِ الأعداءِ بعد أنْ ظَلَّ يسبحُ في البحرِ أكثرَ من ساعتين وعليه أن يغوصَ الآن تحتَ السفنِ واحدةً بعدَ الأُخرى كيْ يستطيعَ الوصولَ الى الشاطىء حيثُ تبدأ عمليةٌ شاقة أخرىٰ ... عليه أن يزحفَ علىٰ الشاطىء حتى يبتعدَ عن مدىٰ رؤيةِ الأعداءِ .



رَفَعَ عيسىٰ رأسَــهُ فوقَ الماءِ فَوَجَــدَ أنه قد اقتربَ كثيراً من إحدىٰ سفنِ العدو ... عليه إذنْ أن يغوصَ تحتَهـا ليخـرجَ منَ الجـانبِ الآخــر .. عمليةٌ شاقةٌ وخطرةٌ ... ولكنّه تعوّدَ عليهـا ... إنه يتحملُ الصعابَ ويتعرضُ للخطرِ من أجـلِ آلافِ الأطفالِ والنساءِ والشيوخِ من سكانِ مدينةِ عــكا الذينَ يحاصرُهم الأعداءُ براً وبحراً ويمنعونَ عنهمْ أيةَ إمداداتٍ أو معـونةٍ مهما كانَ نوعُهـا .. وهناكَ أمرٌ آخر .. تلكَ الأمانةُ التي سلّمها إليه السلطانُ صــلاحُ الدينِ الأيوبي كيْ يوصِــلَهَا إلى قيادةِ المقاومةِ في المدينةِ المحاصرة ...

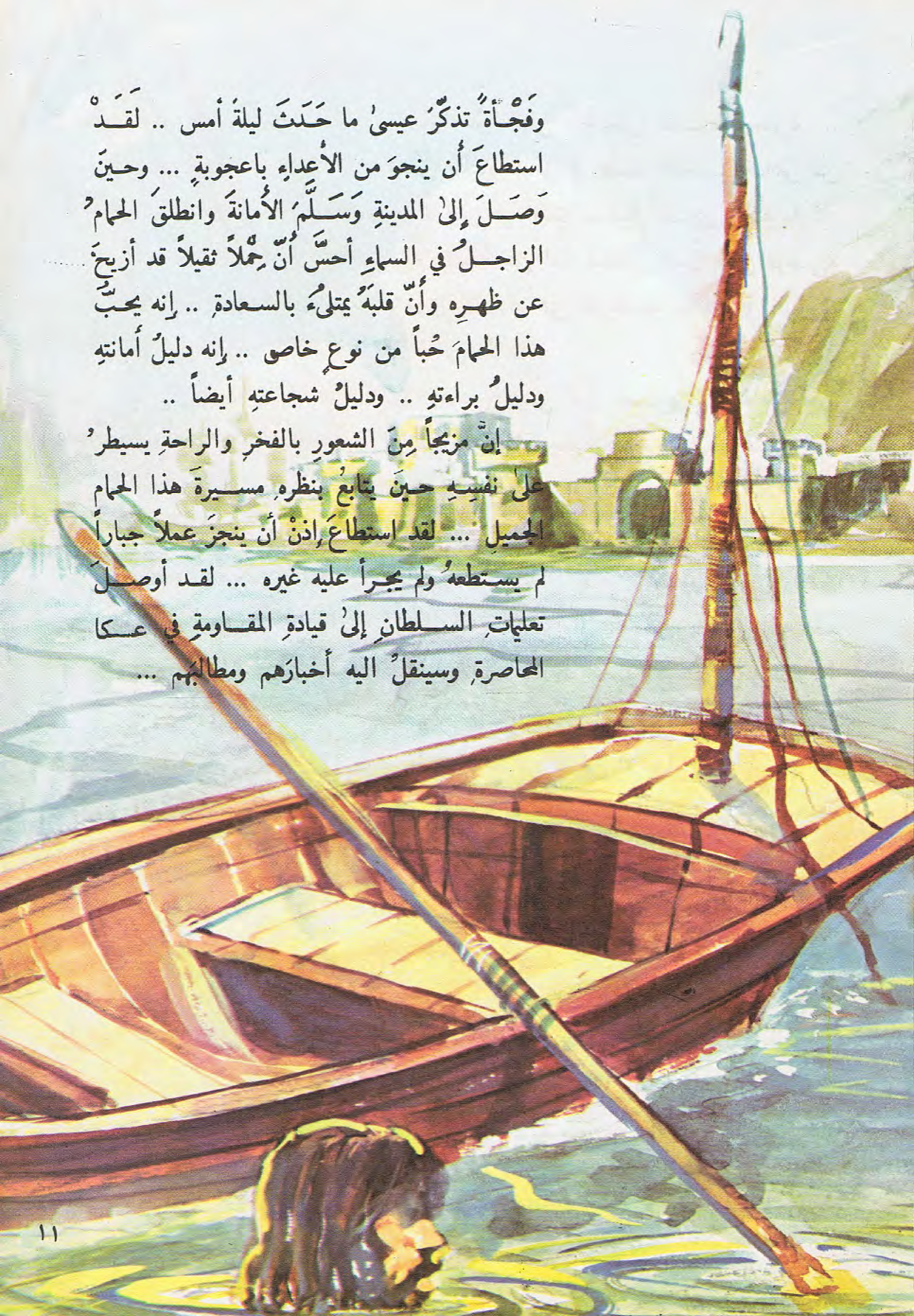




وغاصَ عيسىٰ تحتَ الماء ومرَّ تحتَ السفينةِ ليخرجَ من الجهةِ الثانيةِ .. ولكنَّهُ هذه المرةِ أَحَسَّ بضيقِ صدرهِ ... إنهُ يتنفسُ بصعوبةٍ وقلبهُ يدقُّ بسرعةٍ ... إنَّ أحلىٰ شيءٍ في الحياةِ في نظرهِ الآنَ هو أن يظلَّ دقيقةً واحدةً فوقَ الماءِ .. ولكنْ ما العمل .. ؟ وهذه السفينةُ التي تجثمُ أمامهُ وكأنها تجثمُ علىٰ صدرهِ ..

وحدَّثَ عيسىٰ نفسَهُ قائلاً :

ماذا يحدثُ لو لم يصلْ الى الشاطىء في الوقتِ المحدَّدِ كما هي العادة كلَّ مرةٍ ... ؟ لا شكَّ أن قيادةَ المقاومةِ في عَكا ستظلُّ تنتظرُ وتنتظرُ .. وسيظلُّ صلاحُ الدينِ هو الآخرُ ينتظرُ الاشارةَ المتفق عليها ... الحمامُ الزاجلُ الذي كان ينطلقُ من بيروت بمجردِ وصولِ عيسىٰ وتسليمه الأمانة ..



وفَجْأةً تذكّرَ عيسىٰ ما حَدَثَ ليلةَ أمس .. لقَـدْ استطاعَ أن ينجوَ من الأعداءِ باعجوبةٍ ... وحيـنَ وَصَـلَ إلىٰ المدينةِ وَسَـلَّمَ الأمانةَ وانطلقَ الحمامُ الزاجـلُ في السماءِ أحسَّ أنّ حِمْلاً ثقيلاً قد أزيحَ عن ظهـرِه وأنّ قلبَهُ يمتلىءُ بالسعادةِ .. إنه يحبُّ هذا الحمامَ حُباً من نوعٍ خاص .. إنه دليلُ أمانتِهِ ودليلُ براءتِهِ .. ودليلُ شجاعتِهِ أيضاً ..

إنّ مزيجاً مِنَ الشعورِ بالفخرِ والراحةِ يسيطرُ علىٰ نفسِـهِ حيـنَ يتابعُ بنظرِه مسـيرةَ هذا الحمامِ الجميلِ ... لقد استطاعَ إذنْ أن ينجزَ عملاً جباراً لم يستطعهُ ولم يجرأ عليه غيره ... لقـد أوصـلَ تعليماتِ السـلطانِ إلىٰ قيادةِ المقـاومةِ في عـكا المحاصرةِ وسينقلُ اليه أخبارَهم ومطالبَهم ...

وأحَسَّ عيسىٰ بأنهُ يمتلىء نشـاطاً وحيويةً ... أَحَسَّ بالقوةِ تتدفّقُ في جسمهِ المتعبِ فغـاصَ من جديدٍ ومرَّ من تحتِ سفينةٍ أخـرى ولكنّهُ ما كادَ يرفعُ رأسَـهُ عن الماءِ ليتنفسَ قليلاً حتىٰ فوجـىءَ بزورقٍ للأَعداءِ على مقربةٍ منه .. كانَ في الزورقِ ثلاثةُ مِنَ الأَعداء .

وغاصَ عيسىٰ مرةً أخـرىٰ ... غاصَ فترةً طويلةً ... طويلةً جداً سَبَحَ خِلالها تحـتَ الماءِ مسافةً ظَنَّها ميلاً .. أو أكثرَ .. ثم رفعَ رأسَـهُ فوقَ الماءِ بعـدَ أن أَحَسَّ أنه يكادُ يختنقُ ... فماذا رأىٰ ... ؟ إنهُ نفسُ الزورقِ .. ونفسُ الرجالِ ... ثلاثةُ رجال .. لكنّهم يلتفتونَ إليه هذهِ المرة .. لابُدَّ أنهُمْ قد أحسوا به ... بل ربما كانوا يتعقبونه ... والتفـتَ ليحـدِّدَ مكانَهُ ... كانَ في وسطِ مجموعةٍ من سـفنِ الأَعداءِ .. وأثارَ انتباهَهُ تلكَ الإشارة المرسومة علىٰ السـفينة التي أمامه .. إنّها نفسُ السفينةِ التي ظَنَّ انهُ قد مَرَّ من تحتها .. ماذا حَـدَثَ إذنْ ؟ أيكون قد توهَّمَ ... ؟ لا ... إنّهـا هِيَ .. هِيَ بالذات .. نفسُ الصـورةِ ونفسُ السفينة ... ولكنّه ظلَّ تحتَ الماءِ فترةً طـويلةً قطعَ خـلالها مسـافةً طـويلةً .. ما الذي حَـدَثَ إذنْ ؟ أهيَ سـفينةً أُخرىٰ تحملُ نفسَ الصـورةِ ... ؟ كلّا .. لكلِّ سفينةٍ من سفنِ الأُعداءِ اسمٌ تُعـرفُ به ورسمٌ تتميَّزُ به ...

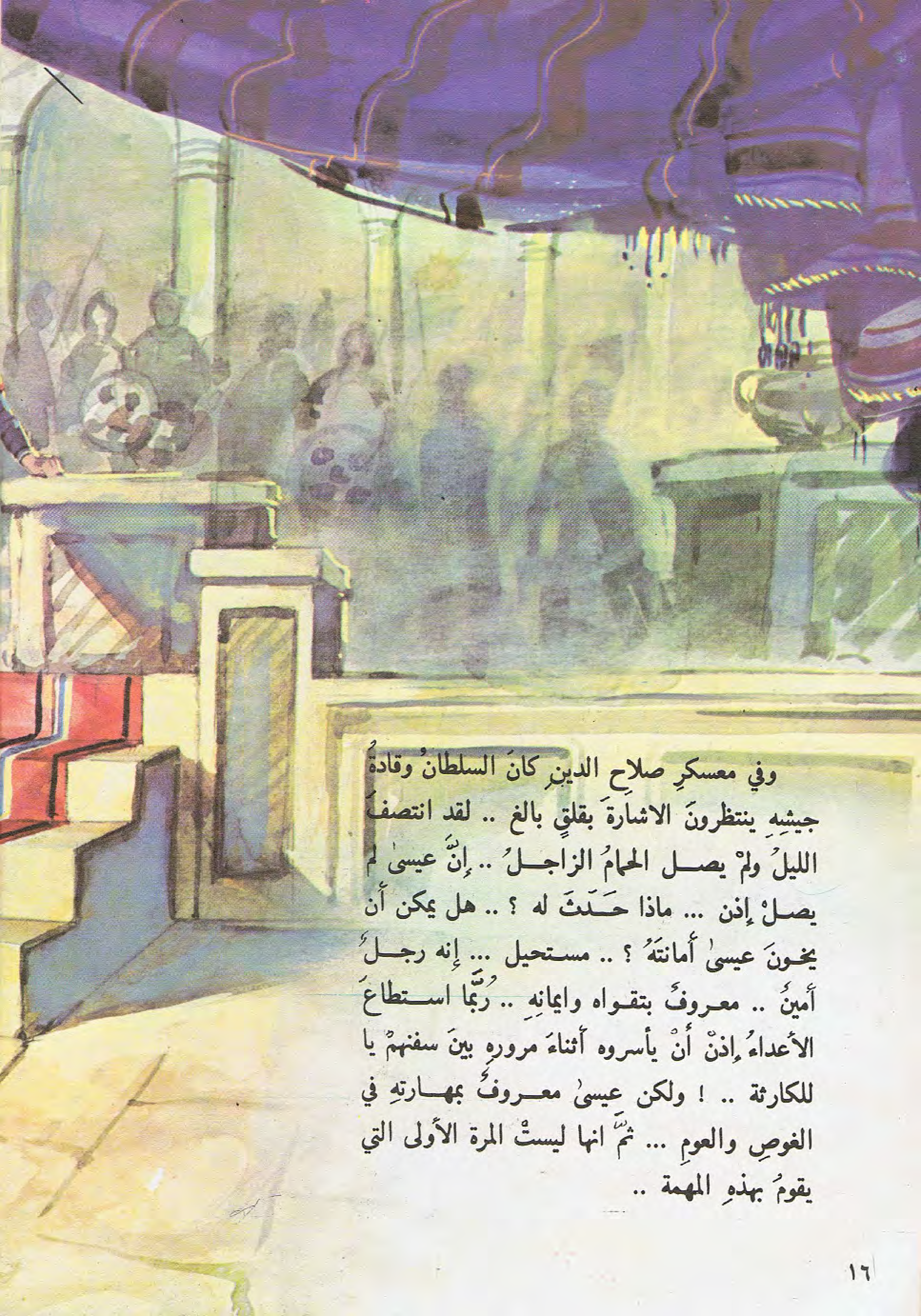




وتنبَّهَ لصوتِ مجدافٍ يرتطمُ بالماءِ .. إنَّ الزورقَ يقتربُ منه .. ليسَ أُمامه سوى طريقٍ واحدٍ .. أن يغوصَ .. ويغوص .. إنه لا يمكنُ أَن يسمحَ للأَعداءِ أن يأسروهُ .. أبداً .. إنه يحملُ أمانةَ السلطانِ صلاحِ الدينِ ولا بُدَّ أن يسلِّمَهَا إلى أُهلِهَا .. إنَّ قيادةَ المقاومةِ في المدينةِ تنتظرهُ علىٰ أحرِّ مِنَ الجمرِ .. لا ... لن يسمحَ للعدو أن يطَّلِعَ علىٰ سِرِّه ما دام حَيّاً ... صحيح انّه بدأَ يفقدُ كثيراً من قوتِهِ وقدرتهِ على الغوصِ وانه قد انهكَ قواهُ كثيراً ... ولكن خير له أن يموتَ من أن يأسرهُ الأعداءُ فيخون أمانَتَهُ وعهدَه ...

وتشابكت الأفكارُ في ذهنِهِ واختلطتْ بين حياتِهِ وموتِهِ ... إنه لا يمكن أُن يسمحَ لهُمْ أن يأسروهُ،فماذا يفعل إذنْ ؟ إنهمْ يحاصرونَهُ ولو استمرَّ في الغوصِ فانه قد يموتُ اختناقاً .. ترىٰ ما الذي يحدثُ له إنْ مات اختناقاً .. ؟ ربما استطاعَ العدوُّ أن ينتشلَ جثَّتهُ بعدَ أن تطفوَ فوقَ سطحِ الماءِ .. فيطَّلعَ على سِرّهِ .. ربما .. هذا احتمالٌ وارد ... و .. ربما طافتْ جثتهُ قربَ الشاطىءِ فينتشلُها أهلُ عكا ويتسلمونَ الأمانةَ ويظلُّ سرُّهُ مُصاناً ...

وبكلِّ ما يملكُ المؤمنُ من تقوىٰ وعقيدةٍ دعا عيسىٰ ربَّهُ أَنْ تَصِلَ جثّتهُ اذا ماتَ الىٰ الشاطىء ..



وفي معسكرِ صلاحِ الدينِ كانَ السلطانُ وقادةُ جيشِهِ ينتظرونَ الاشارةَ بقلقٍ بالغ .. لقد انتصفَ الليلُ ولمْ يصلِ الحمامُ الزاجلُ .. إنَّ عيسى لم يصلْ إذن ... ماذا حدَثَ له ؟ .. هل يمكن أن يخونَ عيسى أمانتَهُ ؟ .. مستحيل ... إنه رجلٌ أمينٌ .. معروفٌ بتقواه وايمانِهِ .. رُبَّما استطاعَ الأعداءُ إذنْ أنْ يأسروه أثناءَ مرورِهِ بينَ سفنهمْ يا للكارثة .. ! ولكن عيسى معروفٌ بمهارتِهِ في الغوصِ والعومِ ... ثمَّ انها ليستْ المرة الأولى التي يقومُ بهذهِ المهمة ..



وفي عـكا ظَلَّتْ قيادةُ المقاومةِ ساهرةً طوالَ الليلِ تنتظرُ وصولَ عيسى إليهم كعادتِه في كلِّ يوم .. دونَ جدوى .. وينقضي الليلُ .. ويمرُّ اليومَ الثاني والثالثَ ولم يظهرْ لعيسى أيُّ أثرٍ ... أيكونُ السلطانُ صلاحُ الدينِ قد نسيهمْ ؟ أَبداً .. إنه رجلُ مبادىءٍ لقد وعدهمْ ولا يمكن أنْ ينسىٰ وعدَهُ .. لماذا إذنْ لم يحضرْ عيسىٰ كعادتِه .. ؟ لماذا أُبطأ عليهمْ هذه المرة ؟ لقدْ طلبوا من السلطانِ مبلغاً كبيراً من المالِ نفقةً للمجاهدينَ .. أتراهُ استكثرَ المبلغَ فبَخُلَ به ؟ كلّا .. إنه لم يفعلْ ذلكَ مرةً واحدةً في حياتِهِ ..



وفي صـباحِ اليومِ التالي وَجَـدَ الناسُ جثةَ غريقٍ تتقـاذفُها الأمواجُ على الشـاطىءِ فأسرعوا ينتشـلونَها فاذا هِيَ جثةُ .. عيسى العـوّام .. وسَلّموا الجثةَ إلى قيادةِ المقـاومةِ فوجـدوا على وسطِهِ ثلاثةَ أكياسٍ مغلفةٍ بالشمعِ فيهـا الفُ دينارٍ إضافةً إلى رسائلَ وتعليماتِ السلطانِ ..

وعندئذٍ أطلقـوا الاشـارةَ .. فطارَ الحمامُ إلى معسكرِ صـلاحِ الدينِ ليعلنَ للتاريخِ أنّ عيسى العوامَ قد أدّى واجبَهُ وهو ميت ..





الجمهورية العراقية – وزارة الثقافة والاعلام – دائرة ثقافة الأطفال – مكتبة الطفل

الناشر : دائرة ثقافة الأطفال . . ص . ب ١٤١٧٦ بغداد

ثمن النسخة : ٥٠ فلساً عراقياً أو ما يعادلها